مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jll

الشعر السعودي لفؤاد الخطيب – بين لحظة التاريخ ولحظة الشعر

Fouad AlKhatib's Poetry in the Saudi Era: Between Historical Moment and Poetical Moment

د. محمد بن سعيد بن ناصر آل علي القرني*

قسم الأدب والنقد والبلاغة، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

Dr. Muhammad Saeed Nasser Al Ali Alqarni*

Department of Literature, College of Arabic Language and Literature, Umm Al-Qura University, Makkah, Kingdom of Saudi Arabia

الملخص: يبدأ البحث بتمهيد عن فؤاد الخطيب وشعره في حقبته السعودية، ثم ينتقل إلى إيضاح المقصود بِـ"لحظة التاريخ" و"لحظة الشعر" و"اللّحظة الجماليّة". وينطلق من دراسة العلاقة بين لحظة التاريخ ولحظة الشعر، في الشعر السعودي لفؤاد الخطيب، وذلك من خلال الفاعليّة التي تُحدثها إحداهما في الأخرى. ثمّ ينتقل إلى تصنيفٍ موضوعيٍّ أوّليٍّ لقصائد (الخطيب) السّعوديّة؛ للوصول إلى الآثار الجماليّة لِلّحظتين في بناء القصيدة الفنيّ؛ لأن فكرة البحث تقوم على امتزاج التاريخ والشعر أو لنقل التاريخ والفن، بما يتناسب مع طبيعة البحث الذي ينظر إلى هذا الجزء من شعر الشاعر على أنه يمثل حقبة زمنية ومدى مكانيّا. إن حضور المكان في شعر فؤاد الخطيب لافتٌ ومؤثرٌ يدعو الكاتب إلى أن يمعن النظر فيه، وما يمكن أن يكون له من تأثير في البناء الفني للقصيدة، بل إن ارتباطه بالمكان كان دافعا رئيسا لكتابة البحث ضمن مشروع يركز على دراسة الشعر العربي في الجزيرة العربية قديما وحديثا، لأنّ المكان –أيّ مكان– ثابت وإن تغيّرت دلالته، أو تحوّل شكله؛ أمّا الزمان فمتغير، فجُعِل تابعًا للمكان، ولأنّ أبعاد المكان تتعدّد، والزمان له بُعدٌ واحد. وللوصول إلى نتيجة ذات بال، نطرح عددًا من التساؤلات: هل كان الموضوع التّاريخي المتمكّن في الشّعر السعودي للخطيب يحيل إلى التّاريخ أم إلى الشّعر؟ أم يمزج بينهما؟ وهل يمكن أن يُصنّف الشعر السعودي للخطيب موضوعيًّا بطريقةٍ تبين عن مزيّته؟ وكيف تصنع لغة العلاقات المكانية مفاهيم للمكان في شعره؟ وكيف تصنع وجودًا متخيّلًا؟ وكيف يتّحد الزمان والمكان في شعره ليبين عن جماليّته من خلال قصيدة بعينها؟ يقوم منهج البحث على تتبع واستقصاء الشعر السعودي لفؤاد الخطيب فحسب. وتُعَدّ المنهجية التحليليّة المنطلقة من الرؤية الفنية الأجدى في إجراء البحث؛ للوصول إلى هدفه في تجلية الآثار الجماليّة. وتمثّلت أبرز النتائج في نقاطٍ أهمّها: أنّ فاعليّة لحظة التاريخ ولحظة الشّعر تظهر من خلال: الارتكاز عليها، أو الاستدعاء، أو التّفخيم، أو التّعميم. كما أمكن الوصول إلى الخيط النّاظم للشّعر السّعودي للخطيب المتمثّل في فكرة الوحدة والنّهضة مع تعدّد الأغراض. وأنّ المكان وإن كان حقيقيّا فله وجود متخيّلٌ يبرز من خلال لغة العلاقات المكانيّة. كما يتّحد الزمان والمكان في تكوين صورةٍ جماليّةٍ لها سماتها من خلال نموذجٍ تحليليّ من شعر الخطيب.

الكلمات المفتاحية: الشعر السعودي، فؤاد الخطيب، لحظة التاريخ، لحظة الشعر، الفاعليّة، فكرة الوحدة.

Abstract: The research introduces Fouad Al-Khatib and his later poetry during his Saudi era. It clarifies what is meant by "historical moment", "poetical moment" and "the aesthetic moment" through studying the relationship between these moments in the Saudi poetry of Fouad Al-Khatib to determine how each of them affect the other. A preliminary thematic classification of Al-Khatib's Saudi poems is provided to show the aesthetic effects of these moments in the artistic construction of the poem; since the idea of the research is based on the collaboration of history and poetry, or let us say: history and art, it looks at this part of the poetry assuming its validity to represent a time period and a spatial extent. "Place" is a highly regarded component of Fouad Al-Khatib's poetry which deserves to be considered carefully, to understand its impact on the artistic construction of the poem. Indeed, it give a deserved attention to the study of Arabic poetry in the Arabian Peninsula, past and present. Because the place - any place - is fixed, even if its meaning changes, or its form changes; while time, on the other hand, is variable, so it is made dependent on space, because the dimensions of space are multiple, and time has one dimension. In order to reach a relevant result, we raise a number of questions: Did the historical theme present in Al-Khatib's Saudi poetry refer to history or to poetry? Or mixes them? Is it possible for Al-Khatib's Saudi poetry to be classified objectively in a way that reveals its merits? How does the language of spatial relations create concepts of place in his poetry? How did he create an imagined existence? How time and space were combined in his poetry to express his aesthetics through a specific poem? The research methodology is based on tracking and investigating the Saudi poetry of Fouad Al-Khatib only. The analytical textual approach based on the artistic vision is considered the most useful in conducting research. To achieve our goals of revealing the aesthetic effects. It has been found that the effectiveness of the historical moment and the poetical moment appears through: relying on it, recalling it, exaggerating it, generalizing it. It was also possible to discover the netting thread of Alkatib's Saudi poetry, which is represented by the idea of "unity and renaissance" with multiple purposes. Even if the place is real, it has an imagined existence that emerges through the language of spatial relationships. Time and place were united in forming an aesthetic image that has its own characteristics through an analytical model of Al-Khatib's poetry.

Keywords: Historical Moment, Saudi Poetry, Poetic Moment, Aesthetic Moment, Fouad Al-Khatib, Unity.

***المؤلف المراسل:** د. محمد بن سعيد بن ناصر آل علي القرني

البريد الالكتروني الرسمي: msngarni@uqu.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/ll87115147

1658-8126 / © 2024 by the Authors.

Published by ***J. Umm Al-Qura Univ. Lang. Sci. and Lit.***

تمهيد

تعريفٌ بالشّاعر وديوانه:

وُلِد فؤاد بن حسن الخطيب في بلدة شحيم بلبنان عام (1880م – 1957م / 1296هـ – 1376هـ)، وتخرج في الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1904م، وكان ذا مواهب متعددة، فهو شاعر وكاتب وسياسيّ وخطيب ومحاضر وصحفيّ، رحل إلى العديد من البلدان واستقرّ بها زمنًا، وكان له أثر في أكثرها، منها: سوريّة وفلسطين ومصر والسّودان والحجاز والعراق وجزيرة قبرص وأوروبا، وقد عُرف في حقبة الشريف حسين بِ (شاعر الثّورة العربيّة).

التقى بكبار الشّعراء أمثال إسماعيل صبري وأحمد شوقي وخليل مطران وحافظ إبراهيم، وكان يُعدّ من شعراء الإحياء في العصر الحديث، لم يخرج في شعره على أوزان الخليل وبحوره وقوالبه المتوارثة، كما حافظ على الأصالة في معانيه وأغراضه وألفاظه وأساليبه، وجدَّد في موضوعاته من حيث الأفكار والمضامين، ويُعدّ شاعر المحافظة والتّجديد معًا كما يرى الدكتور ظافر الشهري[1].

طُبع الجزء الأول من ديوانه في القاهرة عام 1910م/1328هـ، وأعيدت طباعته مع الجزء الثاني في طبعته الأولى عام 1959م/1378هـ بعد وفاة الشاعر، طبعته دار المعارف بالقاهرة على نفقة الأديب محمد سرور الصبان، وقد أضيفت إلى هذه النسخة من الديوان بعض أشعاره القديمة التي لم تُطبع في الجزء الأول، وطُبع للمرة الثانية في سلسلة كتب الريادة التابعة للمجلة العربية في الرياض عام 1431هـ[2]، وكُتِب على صفحة الغلاف (شاعر النّهضة العربيّة).

ولقد كانت الأحداث التاريخيّة في الغالب هي منطلقُ فؤاد الخطيب في شعره في حقبته السعودية؛ منذ ارتباطه بالعمل مستشارا للملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – يرحمه الله – في عام ١٣٦٥هـ، ثم سفيرا للمملكة إلى أفغانستان، إلى أن وافته المنية عام ١٣٧٦هـ، على أنّ له شعرًا في وصف الرياض والشباب والشيب والنّاي والدّمع، والرّوح والجسد، والبرق السلكي واللاسلكي، والجاذبية، وغير ذلك ممّا لم يُذكر تاريخ إنشائه.

الدّراسات السّابقة:

أوّلها مقال لعمر المدني، بعنوان: فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية الكبرى، منشور في مجلة آفاق الإسلام، الدار المتحدة للنشر، المجلد/العدد: س 3, ع 4، كانون الأول 1995م، الأردن. لم أحصل عليه، ويتضح من إطلاق لقب شاعر الثورة العربية الكبرى عليه أن المقصود شعره في حقبة الشريف حسين.

وثانيها بحث لظافر بن عبدالله الشهري، بعنوان: (شخصية الملك عبدالعزيز في شعر فؤاد الخطيب) منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة الملك فيصل، المجلد/العدد: عدد خاص، فبراير 1999م، المملكة العربية السعودية. يتناول البحث بالتحليل الأدبي شخصية الملك عبدالعزيز ورصد صفاته كما جاءت في شعر فؤاد الخطيب مرتبة تبعًا لتجلّيها في القصائد المخصّصة له.

وثالثها مقال موجز لفيصل دراج، بعنوان (فؤاد الخطيب: شاعر الثورة العربية الكبرى) منشور في المجلة الثقافية، بالجامعة الأردنية، المجلد/العدد: ع88,89، 2016م، الأردن. يهدف المقال إلى التعرف على فؤاد الخطيب بوصفه شاعر الثورة العربية الكبرى – قبل الحقبة السّعوديّة – وبوصفه مستشارًا خاصًا للأمير عبد الله ملك الأردن فيما بعد، وخلص المقال بالقول بأن فؤاد الخطيب قد جسد المثقف العربي النهضوي.

ورابعها بحث لسلطان بن سعد السلطان، بعنوان: (بيان السقط في ديوان الخطيب "فؤاد الخطيب") منشور في مجلة تطوير الأداء الجامعي، جامعة المنصورة – مركز تطوير الأداء الجامعي، المجلد/العدد: مج19, ع1، يوليو 2022م، مصر. يشير المقال إلى سقط وقع في تسع وعشرين قصيدة من قصائد الديوان؛ عثر عليه الباحث في الصحف والمجلات، التي كان ينشر فيها الشاعر قصائده. وقد أثبت في هذا البحث هذا السقط؛ خدمة للأدب العربي، لتكون هذه الأبيات في متناول الباحثين، عند دراسة ديوان الشاعر، أو عند دراسة بعض قضايا الشعر الحديث أو موضوعاته.

وخامسها بحث لسلطان بن سعد السلطان، بعنوان: (ديوان الخطيب بين طبعتين "فؤاد الخطيب" ت. 1376 هـ – 1957م) منشور في المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط – كلية الآداب، المجلد/العدد: ع86، أبريل 2023م، مصر. عقد فيه مقارنة بين طبعتي الدّيوان وما فيها من اختلاف.

يتضح من استعراض الدراسات السابقة عدم دراسة الشّعر السعوديّ لفؤاد الخطيب من حيث فاعليّة لحظة الشّعر ولحظة التّاريخ، ومن حيث الحضور الكبير للمكان ودوره في فنّيّة القصيدة[3].

---

(1) الخطيب، فؤاد ، شاعر، ديوان فؤاد الخطيب، كتاب العربية "المجلة العربية" الريادة(2)، 1431هـ، الرياض. يُنظر التّقديم ص 4 – 7.

(2) نفسه، يُنظر نبذة موجزة عن المؤلف بقلم ولده رياض الخطيب ص21 – 32.

(3) دراج، فيصل، مؤلف، فؤاد الخطيب: شاعر الثورة العربية الكبرى، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، المجلد/العدد: ع88,89، 2016م، الأردن.

- السلطان، سلطان بن سعد ، مؤلف، بيان السقط في ديوان الخطيب "فؤاد الخطيب"، مجلة تطوير الأداء الجامعي، جامعة المنصورة – مركز تطوير الأداء الجامعي، المجلد/العدد: مج19, ع1، يوليو 2022م، مصر.
- الشهري، ظافر بن عبدالله، مؤلف، شخصية الملك عبدالعزيز في شعر فؤاد الخطيب، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة الملك فيصل، المجلد/العدد: عدد خاص، فبراير 1999م، المملكة العربية السعودية.

بين لحظة الشعر ولحظة التاريخ

يحسن أن نبدأ هذه الجزئية بإيضاح المقصود بِـ " لحظة التَّاريخ " و " لحظة الشِّـعر "، وذلك بالإشـارة إلى المعنى اللغوي، ففي المعجم الوسـيط[4]: (اللَّحظة) المرَّة من لَحَظ العَيْن. وَ – الوقتُ القصـير بمقدارِ لَحْظِ العيْن. يقال: سـكت عن الكلام لَحْظَةً. ومن هنا فإن لحظة التاريخ يفترض أن يكون المقصـود بها بداية الحدث التاريخي المؤثرة، ويكون المقصـود بلحظة الشعر بداية الشعور الذي يملي على الشاعر أن يقول أو يكتب ما يشعر به في صورةٍ قصيدة. ولم يسغ لنا أن نستعمل الحدث مكان اللحظة؛ لأن الحدث يشير إلى التّفاصيل، بَيْد أن اللحظة بما تحمله من معنى قِصَر الوقت أدقّ في الدلالة، حتى وإن كانت لا تنفصل انفصالا تاما عن معنى الحدث، والحدث التاريخي يكون في الماضـي، ولو لم يكن في الماضـي لما كان تاريخا. وإذا كانت الصفة الأساسية للمؤرخ هي الوعي بالتغيير، وإذا كانت المعرفة التاريخية لا تكون موضـوعية إلا بنبذ الذات كما يورد عبد الله العروي[5]؛ فإنّ الشـاعر قد يكون واعيا بالتغيير، ولكن المعرفة التاريخية التي نجدها في الشعر، تحضر فيها الذات، بل ربما تكون الذات أو المشاعر الذاتية أساسية فيها، ومن هنا فلا يمكن أن نعدها معرفة تاريخية صـرفة، فهي تشـير إلى التاريخ وتستحضره غير أنها تكيفه بحسب المشاعر من حب أو بغض، من انتماء أو عداء، وهكذا. وإذا كان الحدث هو الفعل الذي غيّر مجرى الحياة البشـرية كما ينقل العروي عن شـاتله[6]؛ فإنَّ النظر في لحظة التاريخ وتشكلها في شعر الخطيب واستحضار أثر لحظة التاريخ في الواقع وتمثلها وتصويرها في الشعر من خلال رؤية تغيير مجرى الحياة ربما تضيف جديدا، بالنّظر إلى أنّ لحظة التاريخ هي اكتمال الحدث، ولحظة الشعر هي اكتمال الشعور.

وإذا كانت لحظة التاريخ تمثل الواقع وتتولد منها لحظة الشـعر فإن مهمة الكاتب هنا أن يبحث عن الأثر – الموجود أساسـا في الحدث التاريخي – الذي يحدثه أحدهما في الآخر، وكيف يكون هذا الأثر؟ وإذا كانت اللحظة التاريخية مزيجا من الزمان والمكان، فإنه لا يمكن تخطي أثر الزمان والمكان في الشعر الذي منطلقه اللحظة التاريخية.

إن البحث عن هذا الأثر الذي تحدثه إحدى اللحظتين في الأخرى ربما يحيلنا إلى ما سماه بعض النقاد باللحظة الجمالية، يقول جمال مقابلة: "اللحظة الجماليّة هي: الإحساس أو الشّعور الذي يعتري المرء بقيمة العمل الفنّيّ"[7]. وإذا كانت اللحظة الأولى تاريخيّة، والثانية شـعريّة؛ فإن اللحظة الجمالية شـعورية، تحيل إلى قيمة القصـيدة، ومن ثم فإنها لحظة نقدية تتعلق بالمتلقي، ونحن في هذا المقال لسـنا بصـدد الإسـهام في التنظير النقدي وسنعمد إلى التحليل الذي يبين عن الفكرة.

ينطلق المقال من دراسة العلاقة بين لحظة التاريخ ولحظة الشعر، وذلك من خلال الفاعليّة التي تُحدثها لحظة الشِّـعر في لحظة التاريخ من ارتكازٍ عليها، أو اسـتدعاءٍ لها، أو تفخيم، أو تضـخيم، أو تعميم، ولا يعني ذلك أنّ أشـكال الفاعليّة تنفصـل عن بعضـها؛ إذ نجد أنّها تتجاور بل ربّما تتآزر، ولكنّ إيضاح ذلك يقتضي إبراز كل شكلٍ منها على حِدَة.

فاعلية الارتكاز:

يظهر في كثيرٍ من الشّعر السعودي للخطيب أنّ لحظة الشِّـعر ترتكز على لحظة التّاريخ؛ فلا تكاد تخرج عنها، ففي قصـيدة مدحٍ في الجلوس السـعيد للملك عبدالعزيز الذي هو بمثابة لحظة الشعر، يقول في مطلعها[8]:

يا أيها القلم انهض إنّ سـواك كبا	طال السكوت فأرهف حدّك الذَّرِبَا
وهات مدحك في "عبدالعزيز" فكم	حبّرتَ فيه وصُـغْتَ الشِّـعر والخُطَبَا
هو الـذي رفع الأعلام خـافقـةً	وجـدَّد المُلْـك والإسـلام والعَرَبَا

في البيتين الأول والثاني يصف تسطير شعوره، وفي البيت الثّالث "هو الذي رفع الأعلام..." نجد أنّ الشّـعور يرتكز على لحظة التّاريخ كما عبّر عنها؛ ليسوغ له أن يستدعي تاريخه في القصيدة كلّها.

فاعلية الاستدعاء:

نجد لحظة الشّـعر وهي ذكرى جلوس الملك عبدالعزيز الميمون في عام 1943م تسـتدعي لحظة التاريخ، المتمثّلة في كُمونه في بلدة يبرين ثمّ وثوبه إلى الرّياض، لحظة التّوحيد الأولى، يقول[9]:

لله أنـتَ ومن "جبرين" قـد وثبـتْ	إلى "الرّياض" بـك المُهْرِيَّـةُ القُودُ
لم تسفر الشّمس حتّى عجّلتْ فطوتْ	"عجلانَ" فهو صريعٌ منكَ ملحودُ
واسـترسـلتْ بعده الأمصـار طيّعةً	كـأنّهـا للغـد المـأمول تمهيـدُ

- المدني، عمر ، مؤلف، فؤاد الخطيب شـاعر الثورة العربية الكبرى، آفاق الإسـلام، الدار المتحدة للنشر، المجلد/العدد: س 3, ع 4، كانون الأول 1995م، الأردن.
- السلطان، سلطان بن سعد ، مؤلف، ديوان الخطيب بين طبعتين "فؤاد الخطيب" ت. 1376 هـ – 1957 م، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط – كلية الآداب، المجلد/العدد: ع86، أبريل 2023م، مصر.

(4) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسـيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشـروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ / 2004م، مصر. باب اللام، لحظ، ص818.

(5) العروي، عبدالله ، مؤلف، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي للكتاب، الطبعة الأولى 2017م، الدار البيضاء–المغرب. ص 47.

(6) العروي، عبدالله ، مؤلف، مفهوم التاريخ، ص 76.

(7) مقابلة، جمال ، مؤلف ، اللحظة الجمالية في النقد الأدبي، أزمنة للنشـر والتوزيع، أغسطس2007م، الأردن–عمّان/بيروت. ص 183.

(8) ديوان فؤاد الخطيب، ص290.

(9) ديوان فؤاد الخطيب ، ص279.

فاعليّة التفخيم:

إنّ لحظة الشّعر التي تكون في ظاهرها مناسبةً من المناسبات السياسيّة غالبًا – والتي هي في واقع الأمر كما يظهر للباحث لم تكن سوى محفّز على البوح بها – تأتي لتفخيم لحظة التّاريخ المتمثّلة في شخصيّة الملك عبدالعزيز وأثرها العميق على جزيرة العرب، يقول[10]:

يا ملجأ العرب الأحرار قاطبةً	من كل مضطهدٍ منهم ومن نُكِبا
آمنتُ بالصّفحات الغر خالدةً	تثني عليك ثناءً يملأ الحِقَبا
إنّ الجزيرة قد كانتْ وما فتئتْ	تراك في كل خيرٍ نالها سببا
فأخصبتْ بك بعد الجدب وانهمرتْ	فيها العيون وكان الماء قد نضبا
يجري إليها وما تجري لها قدمٌ	إليه بل هو فيها جال منسكبا

يظهر التّفخيم في كثيرٍ من عباراته التّصويريّة للحظة التّاريخ "ملجأ العرب الأحرار قاطبة" و "الثّناء الذي يملأ الحقب" و "الجزيرة تراه سبب كلّ خير نالها" و "أخصبت الجزيرة به بعد الجدب" وغير ذلك ممّا يجعل لحظة الشّعر المتمثّلة في التّصوير تعمل على تفخيم أمر الشّخصيّة وأعمالها.

فاعليّة التّعميم:

وقد تكون لحظة الشِّعر وهي اعتراف الرئيس الأمريكي هاري ترومان بالدولة الصهيونية إسرائيل، تعمل على تعميم الشّعور الغاضب على لحظة التاريخ أيًّا كانت، ففي قصيدته "فلسطين الثكلى" تظهر فاعليّة التعميم، يقول مفتتحًا[11]:

هو الصّوت دوّى من فلسطين عاليا	وأوغل يغشى الشّرق والغرب شاكيا
فهل سمعت منه "العروبة" من صدى	وهل نشدت للعار بالسّيف ماحيا

ويقول مخاطبًا الرئيس الأمريكيّ معمّمًا الشّعور الغاضب على اعترافه بكيانهم الغاصب، وعلى تنكيله بالعرب[12]:

أيأذن كرسيّ "الرّئاسة" أنّهُ	يراك وكيلاً لليهود وداعيا
فتنطق عنهم منذراً كل كاشحٍ	وتطلق منهم في البلاد الأفاعيا
وهل وجدوا الجبّار "هتلر" عاتيًا	كما كنتَ جبّارًا على العُرْبِ عاتيا
لئن فلّ وهو الموغر الصّدر غربهم	فإنّك قد نكّلتَ بالعُرْب باغيا

وما تزال فاعليّة التّعميم هي المتحكّمة في أجزاء القصيدة فتذكر أحداثًا تاريخيّة يجمع بينها الشّعور الغاضب، فيذكر (حطّين) و (يشوع) قائد اليهود التّاريخيّ عندما خرجوا من مصر، وقد أمر بقتل كلّ ذي حياةٍ في فلسطين من رجالٍ وأطفال ونساء وشيوخ حتى البقر والغنم، يقول[13]:

وقد عرفتْ عنّا "فلسطين" أنّنا	وإنْ نحن فارقنا استطعنا التلاقيا
وكم خطرتْ فيها الرّماح عواليا	وكم سفرتْ بيض الصّفاح مواضيا
وقد شهدتْ "حطّين" كيف تحطّمتْ	فهل حدّثتْ عنها الأعادي الأعاديا
فقل يا "يشوع" العصر هل لك قدرةٌ	على الشّمس تلوي الشّمس باليد ثانيا
وهل لك بوقٌ منه ترسل نفحةً	يخِرّ لديها السّور دونك جاثيا

تصنيفٌ أوّليٌّ للبناء الموضوعيّ

لابدّ من تصنيفٍ أوّليٍّ من حيث البناء الموضوعيّ لقصائد (الخطيب) السّعوديّة؛ وذلك للوصول إلى الآثار الجماليّة لِلّحظتين في بناء القصيدة الفنيّ، إن التصنيف الموضوعي للشعر السعودي لفؤاد الخطيب لا غنى عنه من حيث أنّ فكرته تقوم على امتزاج التاريخ والشعر أو لِنَقُل التاريخ والفن. وإذا كانت بعض المناهج النقدية لا تقف كثيرا عند البناء الموضوعي، وتعمد إلى النظر في البناء الشكلي، فإن هذا لا يتناسب مع طبيعة هذا المقال الذي ينظر إلى هذا الجزء من شعر الشاعر على أنه يمثل حقبة زمنية ومدى مكاني وينطلق من فكرة مبنية على وحدة الزمان والمكان.

ولقد كانت قصيدة فؤاد الخطيب التي بعنوان (تحية العيد) – في سنة 1943م، 1362هـ – هي أول شعره السعودي، وربما لفتت نظر الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الخطيب بوصفه شاعرًا ينتمي إلى فكرة الوحدة التي رآها تتمثل في شخصيته، وجعلته يدعوه في عام 1945م للقدوم إلى المملكة العربية السعودية مستشارا للملك، ومن ثم سفيرا للمملكة في أفغانستان.

إن الدراسة الموضوعية للشعر العربي اتجهت اتجاهات متعددة، فمنها ما يدرس موضوعات الشعر بالنظر إلى الغرض من القصيدة هل هي من قبيل المديح أو الهجاء أو الرثاء أو الغزل أو الإخوانيات؟ وغير ذلك من الأغراض. ومنها ما يدرس موضوعات القصيدة بتجزئتها إلى مقدمة وموضوع وخاتمة. ومنها ما يدرس موضوعات الشعر بالنظر إلى اتجاهاته، الاتجاه السياسي، الاتجاه الديني، الاتجاه الاجتماعي. ومنها ما يدرسه بالنظر إلى المدرسة الفنية التي ينتمي إليها شعر الشاعر.

وإن طبيعة الشعر– بالإضافة إلى المشروع الذي ينتمي إليه هذا المقال – هي ما يحدد طريقة دراسة الموضوع، ومن هنا تحسن الإشارة إلى كميّة هذا الشعر الذي ينتمي إلى الحقبة السعودية، وإلى بدايته الزمنية ونهايته، وإلى النظر في طبيعته المائزة له عن غيره من الشعر السعودي الحديث.

لقد كان الجزء الأول من الديوان في الحقبة العثمانية وحقبة الشريف حسين، وهذا الشعر قيل قبل عام 1930م، أما الجزء الثاني والأكبر من ديوانه فيحتوي على عشرين قصيدة وأربع مقطوعات يمكن تصنيفها بأنها تنتمي

(10) ديوان فؤاد الخطيب ، ص294.

(11) ديوان فؤاد الخطيب ، ص370.

(12) ديوان فؤاد الخطيب ، ص371 – 372.

(13) ديوان فؤاد الخطيب ، ص376 – 377.

إلى الحقبة السعودية. ويمكن حصر موضوعات شعره السعودي في أربعة ذكرها في تصنيف ديوانه، أولها: في الجزيرة وأبطالها الميامين، وثانيها: في سبيل فلسطين، وثالثها: في صدى الثورات العربية، ورابعها: في المراثي، وخامسها: في القطع المتفرقة.

وموضوعاتها تندرج تحت المديح والحماسة والوصف والرثاء والحنين والإخوانيات، وقد كان جل المديح موجهًا إلى آل سعود الكرام، بدءا بالملك عبدالعزيز، وولي عهده ثم الملك من بعده سعود بن عبدالعزيز، وولي عهده ووزير الخارجية الأمير فيصل بن عبد العزيز، أمّا الرثاء فكان لمنصور بن عبدالعزيز وزير الدفاع، ثمّ في رثاء الملك عبد العزيز، وفي رثاء فلسطين، وفي رثاء صديقه الطيّب السّاسي، والحماسة كان جلّها في شعره في فلسطين عند رحيل بريطانيا منها، وإعلان قيام دولة إسرائيل، وفي مجزرة دير ياسين، وفي مخاطبة الجيش المصري، وثورة الجزائر، والوصف يتمثل في قصيدة "النسور السعوديون" في وصف فرقة الطيران، وفي وصف حديقة بكابل أوان سقوط الثلج، ووصف روضة التنهات وكان برفقة الملك، وتتمثّل الإخوانيّات ممتزجة مع الحنين في قصيدة بعث بها من دار الغربة إلى صديقه محمد سرور الصبان عنون لها بِـ "الحنين إلى الحجاز"، وبقصيدة "حِيَال جدّة" وهو على السفينة موادعًا مدينة جدّة، وبقصائده التي كان يبعث بها لتُلقى على الملأ في مجلس الصبان الأدبيّ، بحضور ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز في كثير من الأحيان.

إنّ هذا التصنيف الموضوعي فيما يظهر يشبه غيره من التصنيفات، بيد أنّ ما يميّز شعر الخطيب هو الموضوعات الداخلية التي كانت بمثابة الخيط الناظم لجميع قصائده، وأعتقد أنّ هذه ميزة لموضوعات شعره، فقد كان الموضوع الأساسيّ هو وحدة العرب ونهضتهم، وذلك في شعره بأغراضه المختلفة غالبًا، فمثلا كانت أربع عشرة قصيدة من أربع وعشرين قصيدة في مديح آل سعود، يقول[14]:

وانْجَابَ عهد الدُّوَيْلاتِ الَّتي انْتشرتْ ... شِبْهَ الجَرَاد وفيها الشُّؤم معهودُ
كانت ممزّقة الأطراف مرهقةً ... فالخَدُّ منعفرٌ والرّكن مهدودُ
فأصبحتْ بعد ضمّ الشّمل مملكةً ... بك اسْتتبّ لها بعثٌ وتجديدُ
وإنّها الخطوة الأولى لثانيةٍ ... أخرى اشْرَأبّ إليها نحوك الجِيْدُ

إلى أنْ يقول:

إنّ الجزيرة عند العُرْب واحدةٌ ... وليس في الحاجز المضروب تقييدُ
لم تَرْضَ حدًّا فإنْ تلمم به اقتحمتْ ... وهل يحدّ شعور الشّعب تحديدُ
لها الزّعيم الذي التّوحيد سنّته ... هيهات يُفصم شملٌ فيه توحيدُ

وإذا كانت وحدة العرب ونهضتهم هي الخيط النّاظم لشعره السّعوديّ؛ فإنّه ما ينفكّ يشيد بمواقف الملك عبدالعزيز وأبنائه من بقاع العرب كافّة التي تؤهّله لزعامتهم، يقول في قصيدة أخرى[15]:

ووقفتَ ما لبنان عنك بمعزلٍ ... فصدعتَ عنه الغلّ وهو مكبّلُ
وأصاخ يطرب من زئيرك عندما ... دوّى الزئير وقيل فاض المرْجَلُ
هي وثبة الأسد الهصور وغضبةٌ ... للحقّ من ملكٍ يقولُ ويفعلُ

إلى أن يقول:

لم تنسَ أيَّةَ بقعةٍ عربيّةٍ ... فرميتَ ثمّ مضيتَ لا تتزلزلُ
وتلفّتَ الأقصى إليك فكبّرتْ ... أرجاء مكّة والحجيج يهلّلُ
إنّ الحميّة أقدمتْ لا تنثني ... إنّ الزّعامة صمّمتْ لا تنكلُ

وما ينفكّ – أيضًا – يخاطب العُرْب كافّة عند امتداح آل سعود أو رثائهم، ويجعل ما حقّقوه من منجزات تجديدًا للعرب والعروبة، يقول مخاطبا سعود بن عبدالعزيز:

رددتَ على العُرْبِ الشّباب وأوشكتْ ... تردّ من الأجداث عادٌ وجِمْيَرُ
وأين رميتَ الطّرف جدّدتَ نهضةً ... مشيتَ بها ليستْ تكلّ وتَفْتُرُ
ولم تنسَ حتّى أصغر الأرض رقعةً ... فكلّ صغيرٍ تحت ظلّك يَكْبُرُ

وحتّى عندما تكون القصيدة في محفل خارج الجزيرة؛ فإنّه ما يزال يعزّز فكرة الوحدة والنهضة، يقول في مطلع قصيدة ألقاها في حفل جلاء الفرنسيين من بلاد الشّام واصفًا سرور العرب في كلّ ناحيةٍ، حتّى أنّ الموتى تكاد تنشقّ عنهم حفرهم من فرحهم بهذا الحدث الجلل[16]:

أهلاً بيومٍ هو الأحقابُ والسِّيَرُ ... تدفّقتْ فيه من آياتها السّوَرُ
فالعُرْب فيه كما شاء السّرورُ لهمْ ... في كلّ ناحيةٍ من وحيه الأثَرُ
ففي القصور وفي الأكواخ أغنيةٌ ... منهم ترنّح منها الزّهرُ والشّجرُ
وفي العواصم أفراحٌ تكادُ لها ... تنشقُّ عن شهداء الأمّةِ الحُفَرُ
فيسمعون الذي اشتاقتْ مسامعهمْ ... ويبصرون الذي قدْ طالما انتظروا

كما يتضح ذلك في القصيدة ذاتها عندما لقّب وزير الخارجيّة آنذاك الأمير فيصل بن عبدالعزيز بِـ "أمير العُرْب" وكان رئيس وفد المملكة الذي حضر إلى دمشق للاحتفال بجلاء الفرنسيين، يقول[17]:

وأشرقتْ بأمير العُرْب عاصمةٌ ... هيهاتَ ترغمُ من آنافها الغِيَرُ
فمرحبًا بك يا زين الشّباب فقدْ ... مشى الشّباب إليها منكَ يبتدرُ
أقبلتَ من كعبة الإسلام متّشحًا ... بالسّيف يلمع منه اليُمْنُ والظّفَرُ
كلاكما صارمٌ يزهى بصاحبهِ ... لله سلّكما من غِمده القَدَرُ
كنتَ المنافح عنها يوم محنتِها ... لم يَخْلُ من سعيك المشكور مؤتمرُ
فأنت في الشّرق روحٌ كلّه هممٌ ... وأنت في الغرب آيٌ كلّها غُرَرُ

(14) ديوان فؤاد الخطيب ، ص280 – 282.
(15) ديوان فؤاد الخطيب ، ص 286 – 287.
(16) ديوان فؤاد الخطيب ، ص333.
(17) ديوان فؤاد الخطيب ، ص334.

وبالنّظر في شعره في فلسطين نجد فكرة الوحدة والنّهضة تتجلى في افتخارها بالعروبة، يقول على لسان فلسطين[18]:

فيا خطوبُ اعصفي ما شئتِ طاغيةً إنّي "فلسطين" إنّي لستُ أنهزمُ
ويا ممالكُ صبّتْ كلّ زِعْنِفَةٍ عليَّ مهلًا، وأين العهد والذّممُ؟
حسبي "العروبة" من قبل "الرُّعاة" ومن بعد النُّبُوَّة حتّى تُبعث الرّممُ

وحتّى حينما كان يخاطب السلطة البريطانية عند رحيلها من فلسطين وتسليمها لليهود الصهيونيين في قصيدته "إلى المنتدبين الراحلين" تلحّ عليه فكرة الوحدة، يقول[19]:

أحيثُ فلسطين عند العُرْب وحدتهمْ ففي فلسطين شملُ العُرْب مجتمعُ
وإنّ للشَّعب روحًا قد رأتْ جسدًا تعيش فيه وأنف الموت مُجْتَدَعُ

والشاعر يؤكّد على فكرة الوحدة عندما يخاطب الجيش المصريّ عند قيامه بثورة يوليو 1952م[20]:

ويا أمّتي ما أرهب العُرْبُ دولةً إذا حشدتْ من أهلها النُّصَرَاءَ
وفي كلّ أرضٍ جيشها غير أنّه يكون لقومي عدّةً ووِقَاءَ
ولستُ أبالي البُعْد بين ديارهم إذا اقتربتْ منها القلوب وَلَاءَ
أريد لأبناء العروبة وحدةً وإنّي أراهمْ بينهم رُحَمَاءَ

وفي قصيدته "صرخة الجزائر" 1375هـ - 1956م يجعل اللّسان العربيّ عامل توحيد للعرب والبربر، ويستشهد بشخصيّة طارق بن زياد[21]:

ويا شَدَّ ما صِحْتُمْ لتفريق عنصرٍ من العَرَبِ الْتَفّتْ عليه العناصرُ
مضى قولكم "فرِّقْ تَسُدْ" غير آيبٍ وما للظّهير البربريّ مُظاهِرُ
ومن دوحة "الضّاد" البرابرُ إنّهمْ هم الأهل في أنسابهم والعشائرُ
وقد شهد التّاريخ من عهد "طارقٍ" بما امتلأتْ عنهم وعنه الدَّفاتِرُ
وإنْ تنكروهمْ فالعروبة حسبهمْ وما بينهم في صفقة المجد خاسرُ

وفي قصيدته الإخوانيّة التي وجهها إلى الصبّان بعنوان "الحنين إلى الحجاز" لا تغيب عنه هذه الفكرة النّاظمة لموضوعات شعره، يقول[22]:

وإنّ للعُرْب ما أبقتْ وما أخذتْ متّي الحوادث لا مَنٌّ ولا سَرَفُ
تلك الصِّلات وما من عروةٍ وهنتْ منها ولا رثّ حبلٌ أو وَهَى طَرَفُ
دنيا العروبة دنيا العُرْب قاطبةً ما صحَّ منهم لها الميثاق والحَلِفُ
ومَسْقط الرّأس حيث الرّأس مرتفعٌ لا حيث يفغر فاه المهد يلتقِفُ

إنّ تصنيف موضوعات شعر الخطيب إلى أربعةٍ رئيسة، هي: الجزيرة العربية وفلسطين والثّورات ضدّ المستعمر والمراثي، وخامسٍ يتمثّل في المتفرّقات، دعا إلى بيان الأغراض الشّعرية التي تمحورتْ حولها موضوعات الشعر السعودي للخطيب، وهي: المديح والرّثاء والحماسة والحنين والوصف والإخوانيّات، وقد أمكن الوصول إلى الخيط النّاظم لشعره السّعودي المتمثّل في فكرة وحدة بلاد العرب ونهضتها، كما دعا إلى تبيّن أبرز الظواهر في شعره، التي كان من أهمّها وأظهرها حضور المكان.

فاعليّة حضور المكان

كان حضور المكان في شعر فؤاد الخطيب لافتا ومؤثرا من حيث النظرة الفاحصة الأوليّة، وهذا ما دعا الكاتب إلى أن يمعن النظر في هذا الحضور، وما يمكن أن يكون له من تأثير في البناء الفني للقصيدة، ليس هذا فحسب، بل إنّ ارتباط الشعر السعودي لفؤاد الخطيب بالمكان كان دافعا رئيسا لكتابة هذا البحث ضمن مشروع يركز على دراسة الشعر العربي في الجزيرة العربية قديما وحديثا، ولأن المكان – أيّ مكان – ثابتٌ وإنْ تغيّرت دلالته، أو طرأت عليه تحولات شكلية؛ أمّا الزمان فمتغير، ومن هذا المنطلق يجعل كثير من الباحثين الزمان تابعًا للمكان، لأجل ما ذكرنا، ولأجل أنّ أبعاد المكان تتعدّد، والزمان له بُعدٌ واحد.

وإذا كان للمكان أهميته مجردا، وكانت له أهميته تاريخيا أو واقعيا، وكانت له أهميته فنّيًّا؛ فإنّ الأهمية الفنية التي يكتسبها المكان تظهر من خلال النمذجة المكانية التي تصف الواقع من خلال "لغة العلاقات المكانية التي تحيل الأماكن إلى مفاهيم"[23]، كالضّيق والسّعة، والعلوّ والدنوّ، تلك اللغة التي ذكرها (ليتمان) في المقولة السابقة تعمد إلى أن "تبحث في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الإمساك به، والذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، أي المكان الذي نحب ... إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب. فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز. إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية. في مجال الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية ... ولكن الصور لا تتكيّف بشكل جيد للأفكار الهادئة، وخاصة الأفكار المحددة. فالخيال يتخيل ويغني نفسه دون التوقف بالصور الجديدة. وما أود استكشافه هو ثروة الوجود المتخيل"[24] كما يقول باشلار، وهذا ما ستوضحه الفقرات اللاحقة.

(18) ديوان فؤاد الخطيب ، ص350.
(19) ديوان فؤاد الخطيب ، ص363.
(20) ديوان فؤاد الخطيب ، ص413 – 420.
(21) ديوان فؤاد الخطيب ، ص 421 – 427.
(22) ديوان فؤاد الخطيب ، ص428 – 435.

(23) ليتمان، يوري، (مؤلف)، جماليات المكان، جماعة من الباحثين، دار قرطبة، الطبعة الثانية 1988م، الدار البيضاء–المغرب. ص ٧٠.
(24) باشلار، غاستون، (مؤلف)، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ، بيروت–لبنان. ص ٣١.

الوجود المتخيّل:

إنّ الجزيرة العربيّة حاضرة بكثرةٍ في شعر الخطيب، ولا شكّ أنها تشير إلى مهد العروبة ومنطلق حضارتها ومأرز وحدتها، وهذه الإشارة لا شكّ أنها إشارة واقعيّة، غير أنّنا سنبحث في ثروة الوجود المتخيّل هنا، وهل لغة الشاعر ستجعل وجود هذا المكان – وإن كان في الأساس واقعيًّا – ثريًّا من حيث تخيّله؟ يظهر في أشكالٍ مختلفةٍ أو متناقضة؟ يقول[25]:

ليث "الجزيرة" إنْ يهتف بها انتفضتْ لديه فاندفعتْ منها الصّناديدُ
لو تستطيع الجبال الشُّمُّ لانخلعتْ ركضًا إليه وشدّتْ خلفها البِيْدُ

يمكن أن نقول: إنّ لحظة التّاريخ هي أنّ الملك سيّد الجزيرة العربيّة، ولحظة الشّعر تتمثّل في الوجود المتخيّل للمكان/الجزيرة الذي يجعله فضاءً واسعًا لليثٍ يهتفُ بها فتنتفض تخرج صناديدها، وتسارع أجزاؤها راغبةً في عمل المستحيل الذي يتمثّل في انخلاع جبالها من مكانها ركضًا إليه، وكأنّها كائنات تستجيب كما يستجيب الصناديد، وكذلك الصحاري الواسعة طاعةً لسيّدها.

إنّ هذه الجزيرة التي تأتمر بأمر ليثها، هي في قصيدة أخرى مهد العرب وكهفهم وحصنهم ومنبت استقلالهم وتاريخهم القديم المتجدد، يقول[26]:

والعُرْب تعرف للجزيرة حقها هي مهدهم هي كهفهم والموئلُ
هي منبت استقلالهم وهمُ الذي شهدوه من أعماقها يتسللُ
فاسأل بها الصفحات من تاريخهم إنّ المعالم فيه لا تتبدلُ

وفي موطن آخر تبدو الجزيرة العارية القابعة في خيمة الأرْزاء التي تظللها السماء الحالكة الخالية من الضياء، في مقابل الجزيرة المتزينة بأثوابٍ قشيبةٍ في ظلامٍ لم يعد موجودًا فقد بدّده سيف النّور الذي هو عوض عن الشّهب والكواكب، ولم يكن من قبل كذلك، يقول[27]:

إنّ "الجزيرة" كانت أمس عاريةً واليوم قد لبست أثوابها القُشُبَا
كم خيمت فوقها الأرزاء حالكة كأنّ كل ضياءٍ في السماء خبا
فكان سيفك نوراً في الظلام لها وأين قبلك سيفٌ يخلف الشهبا

وفي موطن آخر تظهر الجزيرة أرضًا للمحشر بعد صيحةٍ عَمَم، عند وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله[28]:

هي الجزيرة فيها الصيحة العَمَمُ فهل هو الحشر أم أشراطه أممُ

كما تبدو الجزيرة تجدّ في السّير على السُّحب خلف من أحيا شبيبتها المتمثّل في سعود بن عبدالعزيز بعد محنتها بفراق قائدها عبدالعزيز[29]:

إنّ "الجزيرة" هبّتْ بعد محنتها تجدّ خلفك من بُعْدٍ ومن كَثَبِ
تمشي وراء الذي أحيا شبيبتها فبثّها منه أسرابًا على السُّحُبِ

إنّ الجزيرة وإنْ كانت في هلعٍ وجزع، فليست غافلة عن حسن منقلبها بسعود الذي صدّ عنها الكوارث، بل إنّ سعودًا هو الجزيرة الجَلْدُ الصابرة، وإنّ الجزيرة هي سعودًا السابق الغلّاب[30]:

وما "الجزيرة" إن تهلع بغافلةٍ عما أعد لها من حسن منقلبِ
هو الذي صدّ عنها كل كارثةٍ وقد أعاد تليد المجد والحسب
وإنّه "هي" في صبرٍ وفي جلدٍ وإنّها "هو" في سبقٍ وفي غلب

النّمذجة المكانيّة:

إنّ لغة الشّعر هي صانعة مفاهيم العلاقات المكانيّة، التي تختلف من شاعر إلى شاعر، ومن موطنٍ في شعر الشّاعر إلى موطنٍ آخر في شعر الشّاعر نفسه، لينتج لنا ذلك ما يمكن تسميته بالنّمذجة المكانيّة – كما سمّاها (ليتمان) – للسّمات التي تظهر في شكلٍ ثنائيٍّ متضادٍّ أحيانًا[31]، كالضّيق والسّعة، والعلوّ والدنوّ، والقرب والبعد، والوعورة والسّهولة، والنّور والظّلام، وغيرها.

يتحوّل المكان الصّغير المحدود إلى مكانٍ فسيح، يقصي مفهوم الضّيق أو المحدوديّة ليظهر نقيض ذلك وهو السّعة بل الرّحابة، كما تظهر دار الأديب محمّد سرور الصّبّان عندما أقام حفلةً فيها لوليّ العهد سعود بن عبدالعزيز، فأصبح المكان يزخر بالشّعب، ويطالعه التّاريخ، والعُرْب ترقب المشهد، وبزيارته للدّار أصبحتْ كالكوكب الذي يشرق عليه النّور من كوكبٍ آخر، يقول مفتتحًا[32]:

هنا المحفل المشهود بالشعب يزخرُ يطالعه التاريخ والعُرْب تنظرُ

إلى أن يقول مختتمًا:

مَنَنْتَ على "دار السّرور" بزورةٍ فأشرق من قاعاتها النور يبهرُ

وقد تكون الأماكن في القصيدة مزيجًا من النّمذجة المكانيّة المتعدّدة، التي تمنح القصيدة بعدًا جماليًّا، فهذا القصر كائنٌ حيٌّ يشير إليه الشاعر ويخاطبه ما يلبث أنْ يكون مَعْبدًا للفَخَار، وعليه فإنّ القصر الملكي معادلٌ لمعبد الفخار، كما أنّ البيت العتيق معبدٌ للدّين، ومعبد الفخار يستظلّ بمعبد الدّين الذي يشهد على ذلك، إنّ هذا المكان/القصر يحفّه جمال الملك المهيب، كما أنّ الذي بناه وشيّده هو باني الملك، هذا المكان/معبد الفَخَار

(25) الديوان، ص277 – 278.
(26) ديوان فؤاد الخطيب ، ص289.
(27) ديوان فؤاد الخطيب ، ص290 – 291.
(28) ديوان فؤاد الخطيب ، ص305.
(29) ديوان فؤاد الخطيب ، ص315.
(30) ديوان فؤاد الخطيب ، ص316 – 317.
(31) جماليات المكان، ص71.
(32) ديوان فؤاد الخطيب ، ص321 – 326.

يقبس السَّعد من مكانٍ آخر هو جبين سعود، إنّنا بصدد تأمّل مكانٍ هو عبارة عن شخص يتولّد من مكانٍ آخر هو شخص آخر أيضا، إنّه كوكب نسل كوكب متوقّد، هو معادلٌ لسعود الكوكب بن عبدالعزيز الكوكب المتوقّد، ثمّ تظهر العروش الموطّدة التي لا تبنيها إلا الكواكب المتوقّدة التي يُقبس السّعد من جبينها، ثمّ تظهر ثنائيّة مكانيّة متضادّة تتمثّل في الوعورة والسّهولة، فوَعْرُ السّبيل يتحوّل سهلًا بجهادٍ لا كلال فيه، يقول[33]:

أيها القصر أنت – والبيت يشهدْ – معبدٌ للفخار في ظل معبدْ
حفّك الملك بالجمال مهيبًا وبناك الذي بناه وشيّدْ
فاقبس السَّعد من جبين سعودٍ إنه اليوم عاد والعود أحمد
مرحباً بالأمير فهو رجاءٌ وغياثٌ ونعمةٌ تتجدد
صورةٌ من أبيه صحَّتْ فكانت كوكباً نسل كوكبٍ يتوقد
إيه مولاي قد نهضتم فكنتم خير من أنشأ العروش ووطد
لم ينلكم من الجهاد كلالٌ وجعلتم وعر السبيل ممهد
ورفعتم من الحضارة ركناً عز بالله والحسام المهند

إنّ بناء هذه القصيدة لا تظهر جماليّاته إلّا من خلال المكان الذي تظهره لنا لغة القصيدة في صورة علاقاتٍ مكانيّة، تحيل المكان إلى مفاهيم وإلى نماذج مكانيّة متخيّلة.

نموذجٌ لتحليل المكان

في قصيدة "دمعة الوداع"[34]

هذه القصيدة في رثاء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يوم وفاته رحمه الله في شهر ربيع الأول 1373هـ/1953م، ولستُ بصدد تحليل القصيدة لأنّ ذلك مجال ورقةٍ علميّة مستقلّة، بل سأكتفي بإظهار موضوعها من خلال الخيط النّاظم الذي أشرتُ له سابقًا، وفاعليّة لحظة الشّعر في لحظة التاريخ أو العكس، وإبراز حضور المكان وجماليّاته في القصيدة.

الموضوع:

إنّ القصيدة وإن كان موضوعها الرّثاء؛ إلّا أنّ الخيط النّاظم للشعر السعوديّ لفؤاد الخطيب الذي يتجلّى فيها هو فكرة الوحدة ونهضة العرب، فهو في نعيه للملك عبدالعزيز وبكائه إيّاه يعدّد مناقبه، فهو باعث العرب وجامع شملهم ومحيي آمالهم أيام لا أمل ولا همّة:

والباعث الغُرّب من أعماق مصرعهم والجامع الشمل منهم وهو منفصمُ
أين الذي أحيت الآمال همته أيام لا أملٌ حيٌّ ولا همُ

ويستمرّ الشّاعر في تعداد مناقبه، فقد حقّق غاية مراده المتمثّل في وحدةٍ انتظمت البلاد، وفي اليقظة التي كانت حلمًا تَحَقَّقَ فأصبح العرب ملء العين بعد سعيٍ حثيثٍ، وكفاحٍ يهزم أعداءه حتّى صاروا كبغاث الطّير أمام الصّقر، وحتّى صار هو غيث الأرض الذي تعقبه الآلاء والنِّعَم، وكانت الشّهود على كل هذا الخير المقتسَم عُدُولٌ لا تُتّهم، هم الكويت والبحرين وقطر، يقول:

حقّقْتَ ما شئت في دنياك من وطرٍ ووحدةٍ لم تكن لولاك تنتظمُ
وأصبح الغُرْب ملء العين يقظتهم من بعد ما قيل عنها إنها حلمُ
وما انثنيتَ عن السعي الحثيث لها ولا الكفاح ومن عاداك منهزمُ
وإنهم كبغاث الطير حشرجة وقد أطل عليها الأجدل الضّرِمُ
وكنتَ في كل أرضٍ قد نزلت بها كالغيث تعقبه الآلاء والنعمُ
وإنها نفحاتٌ منك سالفةٌ وما الشهود على ما قلت تتهمُ
سل الكويت، سل البحرين، سل قطرا من يُمْنِ لبثك فيها الخير يُقْتَسَمُ

إلى أن يصل إلى ختام القصيدة وهو يلحّ على فكرة النّهضة، وأنّ حبّه المخصّص للنّاهضين بالأوطان لا يُلام عليه، ولا يرجو منه مغنمًا ماديًّا، كيف وهو قريبٌ من الأفول:

وإنْ خصصتُ بحبّي الناهضين بها فهل أُلامُ على أنّي أحبّهُمُ
وما طمعتُ بدنيا شمسها اقتربتْ من الأفول نعاها الشّيب والهرمُ

الفاعليّة:

تتمثّل لحظة الشّعر في وفاة المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبدالعزيز، وتتمثّل لحظة التّاريخ في تحقّق الوحدة والنّهضة المعتصمة بالأحرار الذين يحفّون بساحة العَلَم المرفوع، وهنا تظهر فاعليّة الارتكاز؛ حيث أنّ لحظة الشّعر (هتاف القريض) – الذي يبقى وإنْ سكت الشّاعر، أي: مات – يرتكز على لحظة التّاريخ المذكورة، يقول:

وسوف يهتف بعدي إن سكتّ غدًا بها القريض طليقًا والزمان فَمُ
وإنها اليوم أنفاس أصعدها أنا الذي انقشعت عني بك النّقم
وإن لي زفراتٍ عندما اندلعت مني اتّقتْ حرها النيران تحتدم
وكيف أنسى الذُّرى الشماء عذت بها وقد مشيت إليها والطريق دم
وأنت ترفع لا تخشى العدى عَلَمًا حفّتْ بساحته الأحرار تعتصم
وإن حفظتَ حياتي إنّ لي شرفًا فوق الحياة حماه ذلك العَلَمُ

كما تظهر فاعليّة التّعميم من حيث تكون لحظة الشّعر – وهي وفاة المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبدالعزيز – تعمل على تعميم شعور الحزن واللّوعة على لحظة التّاريخ أيًّا كانت، يقول بعد أنْ عدّد منجزاته ومناقبه:

أَمَا يُقيّض لي تقبيل راحته كما عهدتُ ويلقاني فيبتسمُ
يا ويلتاه لقربٍ قد لقيتُ به من صدمة الصّدّ ما شابتْ له اللّمم

[33] ديوان فؤاد الخطيب ، ص331.

[34] ديوان فؤاد الخطيب ، ص305 – 311.

وقد وقفتُ لدى القبر الذي اجتمعتْ فيه الرّجولة والأمجاد تزدحم

وتظهر فاعليّة التّفخيم من حيث إنّ لحظة الشّعر تأتي لتفخيم الشخصيّة التي صنعتْ لحظة التّاريخ المتمثّلة في الوحدة والنّهضة المنجزة؛ ليصبح قبر الشخصيّة هو التّاريخ، تاريخ الكرامة وخلود الذّكرى والأثر الباقي:

قبر العظيم هو "التّاريخ" فهو له مثوى الكرامة لا الأجداث والرّجمُ
يطوي العصور وما تطويه، خالدةٌ ذكراه، تحملها الأحقاب والأمم
تلك الحياة وللآثار دولتها فما تدول، ولا الأعمار تخترم
وأين أخلق من "عبدالعزيز" بها وأين منه ومنها الموت والعدم

جماليّة المكان:

إذا كان عنوان القصيدة "دمعة الوداع"، وإذا كانت عاطفة الحزن تكسو القصيدة، وإذا كان المكان حاضرًا؛ فإنّ من جماليّته في هذه الحالة ما يكون من إسباغ الحالة الشّعوريّة على المكان، فالقصيدة تفتتح بـ "هي الجزيرة"، غير أنّها الجزيرة التي فيها ما يشبه أشراط السّاعة "الصّيحة العمم" وكأنها أرض المحشر؛ وذلك لإسباغ حالةٍ شعوريّة وتمويلها من خلال إدخال عنصر الزّمان "أشراط الحشر":

هي الجزيرة فيها الصيحة العَمَمُ فهل هو الحشر أم أشراطه أممُ

لم تعد الدّيار من العجماوات، ولم يعد المجاز حاضرًا ليخبرنا أنّ المقصود أهل الدّيار، بل إنّ الدّيار تبكي مكانًا/الدّيار، وإنسانًا/العُرْب:

تبكي الدّيار على حامي الذّمار وما للعُرْبِ صبرٌ ولا الأوجاع تنحسم

إنّ المكان يبدو في صورة تقابل الزّمان، بل إنّهما يتّحدان في تكوين الصّورة؛ فكما أنّه أودى وكلّ حِمًى حَرَم، فكذلك كلّ الأشهر حُرُم، المكانيّة ترمز إلى بسط الأمن الشّامل، والزّمانيّة تشترك معها في إيحائها، يقول:

أودى وكل حمىً من أرضهم حرمٌ وكلّ أشهرهم في ظله حُرُمُ

وما دام موضوع القصيدة في الرّثاء، والموت حاضر، فإنّ القبر حاضرٌ، فكيف تشكّلت صورته؟ تظهر للوهلة الأولى بما يوحي بالقرب، بيد أنّه قُرْبٌ هو البعد بعينه متمثّلًا في الصّدّ، إنّه القرب من قبر القريب:

يا ويلتاه لقربٍ قد لقيت بهِ من صدمة الصد ما شابت له اللممُ
وقد وقفت لدى القبر الذي اجتمعت فيه الرجولة والأمجاد تزدحمُ

ولكنّه قبرٌ لا يضمّ رفاتًا إنّما يزدحم بالرّجولة والأمجاد.

إنّ القبر وإن كان لملكٍ مثل عبدالعزيز آل سعود إلّا أنه مثل قبور عامّة النّاس، وقد صوّر ذلك بأنّ القبّة التي تُبنى على القبر كأنّها هرم لضخامتها لا تؤدّي إلى رفعة القبر أو صاحبه، وكان تصويرًا مجرّدًا، إلّا أنّ البيت الذي يليه يحيل إلى فكرةٍ دينيّة تقوم على بساطة الإسلام العظيمة التي تقوم على تسوية القبور وعدم بنائها، ولكي يعزّز هذه الصّورة تساءل عن القبور المُمرّدَة المُطوَّلة، ثمّ أجاب بأنّها اندرستْ واضمحلّتْ ولم يعد بها سوى الرِّمَم:

فما اشْمَخَرَّتْ قبابٌ يستظل بها كأن كل بناءٍ فوقه الهرم
فقلتُ ما أروع الإسلام منزلةً فيه البساطة لكن ملؤها العظم
لو أن في القبر كل الذكر ما عرفت لدى البرية لا عادٌ ولا إرم
أين القبور التي كانت ممردةً لقد عفت وخلت سكانها الرمم

ثمّ يستكمل صورته لِـ "قبر العظيم"، الذي هو "مثوى الكرامة"، وهو في الوقت ذاته "التّاريخ"؛ فكأنّ العظيم لا يوسّد في الجدث المُعلّم برجم الحجارة، إنّما عظمة أفعاله توسّده التّاريخ الذي لا ينسى، فيبقى خالد الذِّكرى، فيصبح الموت حياةً لا تدول، فكأنّ الأعمار لم تُخترَم من الأساس:

قبر العظيم هو "التاريخ" فهو له مثوى الكرامة لا الأجداث والرجم
يطوي العصور وما تطويه، خالدةٌ ذكراه، تحملها الأحقاب والأمم
تلك الحياة وللآثار دولتها فما تدول، ولا الأعمار تخترم

وفي الختام يحسن أن أشير إلى أماكن صنعها الشّاعر على عين الشِّعر لمزيدِ إيضاحٍ لمفهوم ثروة الوجود المتخيّل؛ فنجد "أعماق مصرعهم" و "الزّمان فَمُ" و "الطّريق دَمُ"، يقول:

والباعث العرب من أعماق مصرعهم والجامع الشمل منهم وهو منفصم

إنّ أعماق مصارع العُرب مكانٌ شعريٌّ بامتياز، يرمز إلى التخلّف عن ركب الحضارة والنهضة.

وسوف يهتف بعدي إن سكتّ غدًا بها القريض طليقًا والزّمان فم

والزّمان يصبح مكانًا ليكتسب صفة الخلود؛ لأنّ الزّمان ينقضي ولكنّ المكان يبقى، فالزّمان صار فمًا باقٍ للقريض الطّليق الذي لا يقيّده سكوت الشّاعر أو سكونه، فالزّمان فمٌ باقٍ يسكنه القريض الطّليق الذي لا يفتأ يبثّ هتافه.

وكيف أنسى الذُّرى الشّمّاء عذتُ بها وقد مشيتُ إليها والطريق دم

الطّريقُ الدّمُ المكان الشعريّ الذي يرمز إلى أنّ الحرب الكونيّة الثّانية لم تكن قد وضعت أوزارها بعد، حتّى أنّه لم يكن له أن يسلك هذه "الطّريق دم" إلّا وهو يعوذ بالذُّرى الشّماء المعادلة لدولة عبدالعزيز آل سعود، التي ليس بها ذلك الطّريق.

هذا النموذج التّحليليّ يركّز على إبراز الخيط الموضوعيّ النّاظم، وعلى فاعليّة لحظة الشّعر ولحظة التّاريخ في بعضهما، وعلى جماليّة حضور المكان من خلال النّمذجة المكانيّة، واتّحاد الزّمان مع المكان في إبداع وجودٍ

مُتخيَّل، وقد أمكن إبراز جماليّة النص وجماليّة حضور المكان فيه من خلال نموذجٍ مختار.

الخاتمة والنّتائج:

بدأ البحث بإيضاح المقصود بِـــ"لحظة التاريخ" و"لحظة الشعر" و"اللّحظة الجماليّة". وانطلق من دراسة العلاقة بين لحظة التاريخ، ولحظة الشعر في شعر (الخطيب) السعودي، وذلك من خلال الفاعليّة التي تُحدثها إحداهما في الأخرى.

ثمّ انتقل إلى تصنيفٍ موضوعيٍّ أوَّليٍّ لقصائد (الخطيب) السّعوديّة؛ للوصول إلى الآثار الجماليّة لِلَّحظتين في بناء القصيدة الفنّيّ؛ لأن فكرة البحث تقوم على امتزاج التاريخ والشعر أو لنقل التاريخ والفن، بما يتناسب مع طبيعة البحث الذي ينظر إلى هذا الجزء من شعر الشاعر على أنه يمثل حقبة زمنية ومدى مكانيّا.

إن حضور المكان في شعر فؤاد الخطيب لافتٌ ومؤثرٌ يدعو الكاتب إلى أن يمعن النظر فيه، وما يمكن أن يكون له من تأثير في البناء الفني للقصيدة، بل إن ارتباطه بالمكان كان دافعا رئيسا لكتابة البحث ضمن مشروع يركز على دراسة الشعر العربي في الجزيرة العربية قديما وحديثا، لأنّ المكان –أيّ مكان– ثابت وإن تغيّرت دلالته، أو تحوّل شكله؛ أمّا الزمان فمتغير، فجُعِل تابعًا للمكان، ولأنّ أبعاد المكان تتعدّد، والزمان له بُعدٌ واحد.

لقد قام البحث على تتبع واستقصاء الشعر السعودي لفؤاد الخطيب فحسب وفق المنهجية التحليليّة التي تنطلق من الرؤية الفنية الأجدى في إجراء البحث؛ للوصول إلى هدفه في تجلية الآثار الجماليّة.

وكانت أبرز النتائج:

- ظهرت فاعليّة لحظة التاريخ ولحظة الشّعر من خلال: الارتكاز عليها، أو الاستدعاء، أو التّفخيم، أو التّعميم.
- أمكن الوصول إلى الخيط النّاظم للشعر السّعودي للخطيب المتمثّل في فكرة الوحدة والنّهضة مع تعدّد الأغراض.
- المكان وإن كان حقيقيّا فله وجود متخيّلٌ يبرز من لغة العلاقات المكانيّة.
- ظهر الزمان والمكان متّحدَيْن في تكوين صورةٍ جماليّةٍ لها سماتها من خلال نموذجٍ تحليليّ.

الدعم المالي (نماذج الإقرار بمنح الوزارة في الأبحاث)

النسخة العربية:

"تم انجاز هذا البحث بدعم من برنامج منحة " الشعر العربي " التي أطلقتها وزارة الثقافة في المملكة العربية السعودية، وجميع الآراء الواردة تخص الباحثين، ولا تعبر بالضرورة عن الوزارة "

النسخة الإنجليزية

"This research was funded by the "Arabic Poetry Grant" program offered by the Saudi Ministry of Culture. All opinions expressed herein belong to the researchers and do not necessarily reflect those of the Ministry of Culture".

الإفصاح والتصريحات

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلف أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 0.4 الدولي (NC BY-CC 0.4) ، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:

https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

المصادر والمراجع

الخطيب، فؤاد، (شاعر)، ديوان فؤاد الخطيب، كتاب العربية "المجلة العربية" الريادة(2)، الرياض، 1431هـ.

السلطان، سلطان بن سعد، (مؤلف)، بيان السقط في ديوان الخطيب "فؤاد الخطيب"، مجلة تطوير الأداء الجامعي، جامعة المنصورة – مركز تطوير الأداء الجامعي، المجلد/العدد: مج19, ع1، مصر، يوليو 2022م.

السلطان، سلطان بن سعد، (مؤلف)، ديوان الخطيب بين طبعتين "فؤاد الخطيب" ت. 1376 هـ - 1957 م، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط – كلية الآداب، المجلد/العدد: ع86، مصر، أبريل 2023م.

الشهري، ظافر بن عبدالله، (مؤلف)، شخصية الملك عبدالعزيز في شعر فؤاد الخطيب، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – العلوم الإنسانية

والإدارية، جامعة الملك فيصـــل، المجلد/العدد: عدد خاص، المملكة العربية السعودية، فبراير 1999م.

العروي، عبدالله ، (مؤلف)، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي للكتاب، الطبعة الأولى، الدار البيضاء–المغرب، 2017م.

المدني، عمر ، (مؤلف)، فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية الكبرى، آفاق الإسلام، الدار المتحدة للنشـــر، المجلد/العدد: س 3, ع 4، الأردن، كانون الأول 1995م.

باشـلار، غاسـتون ، (مؤلف)، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسـا، المؤسـسـة الجامعية للدراســات والنشــر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت–لبنان، ١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ.

دراج، فيصـــل ، (مؤلف)، فؤاد الخطيب: شـــاعر الثورة العربية الكبرى، المجلة الثقـافيـة، الجـامعـة الأردنيـة، المجلـد/العـدد: ع88,89، الأردن، 2016م.

ليتمان، يوري ، (مؤلف)، جماليات المكان، جماعة من الباحثين، دار قرطبة، الدار البيضاء–المغرب، الطبعة الثانية 1988م.

مجموعة مؤلفين، المعجم الوســـيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشـــروق الدولية، الطبعة الرابعة، مصر، 1425هـ / 2004م،.

مقابلة، جمال ، (مؤلف)، اللحظة الجمالية في النقد الأدبي، أزمنة للنشـر والتوزيع، عمّان– الأردن، أغسطس2007م.

References

Al-‘Arawī, Allāh (mu’allif), Mafhūm al-tārīkh, al-Markaz al-Thaqāfī lil-Kitāb, al-Ṭab‘ah al-ūlá, al-Dār albyḍā’-ālmghrb, 2017m.

Al-Khaṭīb, Fu’ād (shā‘ir), Dīwān Fu’ād al-Khaṭīb, Kitāb al-‘Arabīyah "al-Majallah al-‘Arabīyah" al-riyādah (2), al-Riyāḍ, 1431h.

Al-Madanī, ‘Umar (mu’allif), Fu’ād al-Khaṭīb shā‘ir al-thawrah al-‘Arabīyah al-Kubrá, Āfāq al-Islām, al-Dār al-Muttaḥidah lil-Nashr, al-mujallad / al-‘adad : S 3, ‘A 4, al-Urdun, Kānūn al-Awwal 1995m.

Al-Shahrī, Ẓāfir ibn Allāh (mu’allif), shakhṣīyah al-Malik ‘Abd-al-‘Azīz fī shi‘r Fu’ād al-Khaṭīb, al-Majallah al-‘Ilmīyah li-Jāmi‘at al-Malik Fayṣal-al-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-idārīyah, Jāmi‘at al-Malik Fayṣal, al-mujallad / al-‘adad : ‘adad khāṣṣ, al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah, Fabrāyir 1999M.

Al-Sulṭān, Sulṭān ibn Sa‘d (mu’allif), bayān al-saqaṭ fī Dīwān al-Khaṭīb "Fu’ād al-Khaṭīb", Majallat taṭwīr al-adā’ al-Jāmi‘ī, Jāmi‘at al-Manṣūrah-Markaz taṭwīr al-adā’ al-Jāmi‘ī, al-mujallad / al-‘adad : mj19, ‘1, Miṣr, Yūliyū 2022m.

Al-Sulṭān, Sulṭān ibn Sa‘d (mu’allif), Dīwān al-Khaṭīb bayna ṭb‘tyn "Fu’ād al-Khaṭīb" t. 1376 H. - 1957 M, al-Majallah al-‘Ilmīyah li-Kullīyat al-Ādāb, Jāmi‘at Asyūṭ-Kullīyat al-Ādāb, al-mujallad / al-‘adad : ‘86, Miṣr, Abrīl 2023m.

Bāshilār, Ghāstūn (mu’allif), Jamālīyāt al-makān, tarjamat : Ghālib Halasā, al-Mu’assasah al-Jāmi‘īyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, Bayrūt-Lubnān, 1984 m/1404 h.

Darrāj, Fayṣal (mu’allif), Fu’ād al-Khaṭīb : shā‘ir al-thawrah al-‘Arabīyah al-Kubrá, al-Majallah al-Thaqāfīyah, al-Jāmi‘ah al-Urdunīyah, al-mujallad / al-‘adad : ‘88, 89, al-Urdun, 2016m.

Lytmān, ywry (mu’allif), Jamālīyāt al-makān, Jamā‘at min al-bāḥithīn, Dār Qurṭubah, al-Dār albyḍā’-ālmghrb, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1988m.

Majmū‘ah mu’allifīn, al-Mu‘jam al-Wasīṭ, Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, Maktabat al-Shurūq al-Dawlīyah, al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah, Miṣr, 1425 h / 2004 m.

Muqābalah, Jamāl (mu’allif), al-laḥẓah al-Jamālīyah fī al-naqd al-Adabī, Azminah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ‘mmān-al-Urdun, aghsṭs 2007m.

الملاحق:

دمعة الوداع

هي الجزيرة فيها الصيحة العمم ... فهل هو الحشر أم أشراطه أمم

وكيف أملك حتى النطق من جزعٍ ... إني لينطق عنّي وحده الألم

عبد العزيز ويا للهول من نبأ ... ما كان يحمد إلا عنده الصمم

تبكي الديار على حامي الذمار وما ... للعرب صبرٌ ولا الأوجاع تنحسم

أودى وكل حمىً من أرضهم حرمٌ ... وكل أشهرهم في ظله حرم

إني رجعتُ إلى الأوطان أسألها ... أين المقيل لمن زلت به القدم

والكاظم الغيظ مسدي العفو عن كرمٍ ... والحامل الكل لم يلمم به السأم

والباعث العرب من أعماق مصرعهم ... والجامع الشمل منهم وهو منفصم

أين الذي أحيت الآمال همته ... أيام لا أملٌ حي ولا هم

وإن يمناه ركن اللائذين به ... من الخطوب ومثل الركن تستلم

أما يقيض لي تقبيل راحته ... كما عهدت ويلقاني فيبتسم

يا ويلتاه لقربٍ قد لقيت به ... من صدمة الصد ما شابت له اللمم

وقد وقفتُ لدى القبر الذي اجتمعت ... فيه الرجولة والأمجاد تزدحم

فما اشمخرّتْ قبابٌ يستظل بها ... كأن كل بناءٍ فوقه الهرم

فقلتُ ما أروع الإسلام منزلةً ... فيه البساطة لكن ملؤها العظم

لو أن في القبر كل الذكر ما عرفت ... لدى البرية لا عادٌ ولا إرم

أين القبور التي كانت ممردةً ... لقد عفت وخلت سكانها الرمم

قبر العظيم هو "التاريخ" فهو له ... مثوى الكرامة لا الأجداث والرجم

يطوي العصور وما تطويه، خالدةٌ ... ذكراه، تحملها الأحقاب والأمم

تلك الحياة وللآثار دولتها فما تدول، ولا الأعمار تحترم حققتَ ما شئت في دنياك من وطرٍ ووحدةٍ لم تكن لولاك تنتظم
وأين أخلق من "عبد العزيز" بها وأين منه ومنها الموت والعدم وأصبح العرب ملء العين يقظتهم من بعد ما قيل عنها إنها حلم
وإنما اللحد باب نحن ندخله وإن ما خلف ذاك الباب يغتنم وما انثنيتَ عن السعي الحثيث لها ولا الكفاح ومن عاداك منهزم
والدار إن هان منها الباب متضعاً فما تهون لها الأقدار والقيم وإنهم كبغاث الطير حشرجة وقد أطل عليها الأجدل الضرم
والروح باقيةٌ ليست بفانيةٍ والجسم كالثوب يبلي نسجه القدم وكنتَ في كل أرضٍ قد نزلت بها كالغيث تعقبه الآلاء والنعم
يا ماثل القصر خلواً منه أين مضت بشاشةٌ طالما انجابت بها الغمم وإنها نفحاتٌ منك سالفةٌ وما الشهود على ما قلت تتهم
هي الدموع فقل لي من يكفكفها هي الجراح فقل لي كيف تلتئم سل الكويت، سل البحرين، سل قطرا من يُمْنِ لبثك فيها الخير يقتسم
مولاي يا مؤنس اللحد المدل به هنا العروبة والإسلام والشمم وقد عملتَ لأخراك التي علمتْ عنك التقى المحض لا شركٌ ولا صنم
قد جئتُ أبكيك لا أثني عليك ولي فيك المدائح فياضٌ بها القلم فاهنأ لدى جنةٍ فيها ملائكةٌ حياك معتنقٌ منهم وملتزم
ومنه فوق حواشي الزهر نمنمة ومنه تحت لسان البلبل النغم مولاي إنك حي رغم كل ردى تعسا لمن ظن حبل العمر ينصرم
وسوف يهتف بعدي إن سكت غداً بها القريض طليقاً والزمان فم لك الخلائف تعتز البلاد بهم إن الحماة وأبطال الجهاد هم
وإنها اليوم أنفاس أصعدها أنا الذي انقشعت عني بك النقم لهم عهود على الأوطان مبرمةٌ لا بارك الله فيمن خان عهدهم
وإن لي زفراتٍ عندما اندلعت مني اتقت حرها النيران تحتدم وإنْ خصصتُ بحبي الناهضين بها فهل أُلَامُ على أني أحبهم
وكيف أنسى الذرى الشماء عذت بها وقد مشيت إليها والطريق دم وما طمعتُ بدنيا شمسها اقتربتْ من الأفول نعاها الشيب والهرم
وأنت ترفع لا تخشى العدى علماً حفت بساحته الأحرار تعتصم
وإن حفظتَ حياتي إن لي شرفاً فوق الحياة حماه ذلك العَلَمُ